

الحياة الثقافية والاجتماعية في مدينة القيروان (50 - 155هـ - 670 - 771م)

محاضر - جامعة الملك فيصل
المملكة العربية السعودية

أ.نورا بنت عيسى بن عبد اللطيف العريفي

مستخلص:

تهدف الدراسة للتعرف على واحدة من أهم المدن في شمال إفريقيا وهي مدينة القيروان ، حيث أسهمت منذ تأسيسها في العام (05 هـ / 670م) في نشر الوعي والثقافة والحضارة في تلك البلاد . تنبع أهمية الدراسة من كونها عملت تتبع من جوانب مهمة في التاريخ وهي الجوانب الثقافية والاجتماعية للمدن الإسلامية التي تمثل القيروان احد أهم رموزها في شمال إفريقيا . اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول لنتائج والتي من أهمها نجاح عقبة بن نافع الفهري في تأسيس مدينة كان لها دوراً حضارياً وثقافياً مهماً في بلاد المغرب العربي ، نجحت القيروان في حجز الصدارة من بين المدن ذات الإسهام الثقافي والاجتماعي.

الكلمات مفتاحية: القيروان ، الحياة الثقافية والاجتماعية ، عقبة بن نافع ، المسجد الجامع ، السفن الحربية

Abstract:

The study aims to identify one of the most important cities in North Africa, which is the city of Kairouan, which, since its founding in the year (50 AH / 670 AD), has contributed to spreading awareness, culture and civilization in that country. The importance of the study stems from the fact that it tracked important aspects of history, namely the cultural and social aspects of the Islamic cities, of which Kairouan is one of its most important symbols in North Africa. The study followed the historical, descriptive, and analytical method in order to reach results, the most important of which was Uqba bin Nafeh Al-Fihri's success in establishing a city that had an important civilizational and cultural role in the Maghreb.

Keywords: Kairouan, cultural and social life, Uqba ibn Nafi, the grand mosque, warships

المقدمة:

تعتبر مدينة القيروان من المدن المهمة التي كان لها دورا مهما في تحويل أفريقيا والمغرب من أرض مسيحية لغتها لاتينية إلى أرض لغتها العربية ودينها الإسلام، وقد ظلت عاصمة الإسلام بقارة أفريقيا لمدة أربعة قرون ومركزا حريبا للجيش الإسلامية التي تقوم بالفتوحات ومركز اشعاع علمي كبير قبي منطقتها وفي المناطق المجاورة.

سبب تأسيس مدينة القيروان:

معنى القيروان المكان الذي نزل به الجيش⁽¹⁾، وقد تم تأسيسها على يد عقبة بن نافع⁽²⁾ عام 50 هـ أثناء فتوحه لبلاد أفريقيا حتى تصبح قاعدة للمسلمين ومركزا لانطلاق الجيوش أثناء حركة الفتوحات الإسلامية⁽³⁾.

السمات الجغرافية:

الموقع وطبيعته:

تقع القيروان على بعد 156 كم جنوب العاصمة تونس، ولقد حدد الاصطخري المسافة بين القيروان وتونس بثلاث مراحل وقال بينها وبين مصر ستين مرحلة⁽⁴⁾، وتقع في وسط منطقة برية ليست قريبة من البحر الذي يسيطر عليه البيزنطيون، وبعيدة أيضا عن الجبال التي يسيطر عليها البربر وتبعد عن الجانبين مسيرة يوم، فهي تقع في منبسط من الأرض يسمح بتحرك الفرسان ودوابهم، وكانت قريبة من السبخة⁽⁵⁾ حتى تتوفر فيها ما تحتاجه الدواب من المراعي⁽⁶⁾.

وكان موقعها كثير الشجر والأدغال والحيوانات المفترسة فأمر من معه من الرجال بتطهير المكان وتجهيزه للبناء، ولكن هناك روايات يذكرها الرحالة تقول أن عقبة بن نافع كان مستجاب الدعوة فجمع من كان في عسكره من الصحابة وكانوا ثمانية عشر رجلا فنادى أيتها الحشرات والسباع نحن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فارحلوا عنا إنا نازلون فحدث أمر هائل كان السبع يحمل أشباله والذئب يحمل أجراءه والحية تحمل أولادها وهم خارجون أسرابا أسرابا وهذا الأمر أدى إلى دخول كثير من البربر إلى الإسلام⁽⁷⁾.

اتفق البعض من الجغرافيين على أن اعتماد أهل القيروان في الشرب كان على مياه الأمطار في الشتاء، وإذا وقعت الأمطار والسيول دخل ماء المطر من الأودية إلى برك يقال لها المواجهل⁽⁸⁾، أما الماء اللازم للاستعمال فكانوا يستخدمون الماء الموجود في وادي السراويل الذي يقع في قبلة المدينة وفيه ماء مالح يأتي من السباخ، وأيضا قاموا بحفر الآبار للحصول على الماء⁽⁹⁾، وقد

أثنى المقدسي على موقعها لكنه انتقد قلة الماء في القيروان فقال: «فهي مفخرة المغرب ومركز السلطان وأحد الأركان ارفق من نيسابور وأكبر من دمشق وأجل من أصبهان إلا أن ماءهم ضعيف، ... الماء مخزون في مواجين⁽¹⁰⁾».

على ما يبدو وما ذكر في قصة عقبة بن نافع والرؤيا التي تم ذكرها نرى فيها شيئاً من المبالغة وربما أنها لم تحدث حقيقة إنما كانت مثل الأساطير التي تم تداولها وانتشرت بين الناس.

أما بالنسبة لموقعها نلاحظ أن اختيار عقبة بن نافع لموقع المدينة كانت مناسبة لمدينة عسكرية فهي قريبة من السبخة لمراعي الدواب ، وبناها في منطقة منبسطة بعيدة عن الساحل فهو بذلك يستطيع رؤية العدو من بعيد لو أغار عليه ، وباستطاعته أيضا وضع رجال على الجبال القريبة منهم حتى يقوموا بالاطلاع على الأماكن المحيطة بالمدينة ومراقبتها تحسبا من الأعداء ، ولم تكن مفصولة عن مركز القيادة بفاصل مائي حتى يستطيع تلقي الامدادات من مركز القيادة العسكرية في الفسطاط دون عوائق ، والمسلمون في بداية إنشاء المدن كانوا يفضلون إنشاء المدن في المناطق الداخلية بعيدا عن الساحل حماية لها من العدو ولكن لما أصبح لهم قوة بحرية قاموا بعد ذلك بإنشاء المدن على الساحل.

ولم يكن هناك تناقض في روايات الرحالة حول موقعها ولكن مما يؤخذ على موقعها عدم توفر المياه لذلك انتقد المقدسي ذلك، فمن صفات اختيار المدينة توفر المياه، ولكنهم استطاعوا التغلب على ذلك من خلال حفر الآبار وتجميع مياه الأمطار في المواجل.

المناخ:

وُصف هواءها بأنه طيب، وقد ذكر البكري ذلك وقال أنه من طيب هواءها كان زياد بن خلفون⁽¹¹⁾ إذا خرج من القيروان يريد الذهاب إلى رقادة⁽¹²⁾ قام برفع العمامة عن رأسه ليجعل الهواء يأتي عليه كأنه يداوي صحته بهذا الأمر⁽¹³⁾، وقال ناصر خسرو: أنه كان ينزل برد في مدينة القيروان⁽¹⁴⁾، وقد قال ابن حوقل: أن القيروان تقارب سجلماصة⁽¹⁵⁾ في طيب هوائها⁽¹⁶⁾.

نلاحظ مما ذكره الجغرافيون أن القيروان مناخها ليس حارا، فيتضح مما ذكروا أنه معتدل وربما يميل إلى البرودة أحيانا لأن ناصر خسرو قال أنه ينزل بها البرد، لكن عامة امتازت بطيب وجودة الهواء وهذا من الصفات التي لا بد من توافرها عند اختيار موقع المدينة.

المظاهر العمرانية: المباني:

تم بناء المسجد الجامع على يد عقبة بن نافع وقد كان المسجد يتوسط المدينة وتحيط به الأسواق، وبنى في صحنه ماجلا، وفيه ساريتين حراوين موشاتين بصفرة لم يرو مثلها من قبل⁽¹⁷⁾، وبنيت أيضا دار للإمارة ومنازل من حولها⁽¹⁸⁾، وقد اهتموا أيضا بالنظافة فأنشأوا الحمامات وبلغ عددها ثمانية وأربعون حماما⁽¹⁹⁾، وقاموا بإنشاء المتنزهات خارج مدينة القيروان للترويح عن السكان، كما كان فيها مستشفيات لمعالجة المرضى، وبها مقابر لدفن الموتى حتى أن بعضها يحمل أسماء الصحابة مثل: مقبرة البلوية نسبة إلى أبو زمعة البلوي⁽²⁰⁾.

توفرت في مدينة القيروان المباني الأساسية التي لا بد توافرها في المدينة مثل: المسجد والمنازل ودار الإمارة، وكذلك المستشفيات والمقابر فهذه ضرورية لتنظيم المعيشة وحياة السكان فيها.

الحصن :

قال البكري: «وكان للقيروان في القديم سور طوب سعتة عشر أذرع بناه محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي سنة أربع وأربعين ومائة، وهو أول قائد دخل إفريقية للمسودة، وكان في قبليّه باب سوى الأربعة وهو بين القبلة والمغرب، وبين القبلة والمشرق باب أبي الربيع، وفي شرقيّه باب عبد الله وباب نافع، وفي جوفيه باب تونس، وفي غربيّه باب أصرم وباب سلم» وقد تم هدم هذا الحصن في عهد زيادة الله بن إبراهيم⁽²¹⁾ ثم أعيد بنائه مرة أخرى⁽²²⁾. يتضح لنا أنه لم يكن هناك سور للمدينة قرابة قرن لكن أضطرت بعد ذلك لبناء السور عام 144هـ لحمايتها من الأخطار فعندما تم هدمه أعادوا بنائه مرة أخرى والحصن مهم للأمن ومن الصفات التي لا بد من توافرها في المدينة.

الأسواق:

كان للقيروان سوق كبير يمتد من المسجد إلى باب الربيع ومن المسجد إلى باب تونس، وكان سطحًا متصلًا فيه جميع المتاجر والصناعات وأمر بترتيبه بهذا الشكل هشام بن عبد الملك⁽²³⁾، وتم ترتيب أسواق القيروان بشكل جيد، فكان لكل صناعة مكانها ومما يدل على ذلك أن أبواب المسجد كانت توصف بأسماء صناعات وتجارات فلا بد أنها سميت بأسماء الأماكن التي تفتح عليها مثل: سوق للصباغيين، وسوق للخّامين، وسوق للرّمّاحين وسوق للحذّائين وغيرها، وقد ذكر المقدسي أن أسواق القيروان بها كثير من

الفواكه وكانت أسعار البضائع فيها رخيصة حيث اللحم خمسة أمناء⁽²⁴⁾ بدرهم، والتين عشرة أمناء بدرهم ثم قال: «ولا تسألوا عن الزبيب والتمر والأعناب والزيت»⁽²⁵⁾.

يتبين لنا حسن اختيار موقع السوق بالنسبة لموقع المدينة فقد تم وضعها في منطقة واسعة وفسحة ممتدة من المسجد إلى داخلها حتى يسهل وصول الناس إليها، ونتيجة لكثرة المنتجات الزراعية والصناعية تم تقسيم السوق إلى أقسام للسلع أو الصناعات وسميت بأسمائها، ومن قول المقدسي يتضح لنا أن الأسعار لم تكن غالية الثمن إنما أسعار متواضعة ورخيصة وربما يعود ذلك إلى كثرة الحيوانات فيها بالإضافة للمنتجات التي كانت تأتيها من المناطق القريبة منها.

النشاط السكاني:

وقد اختلفت الأنشطة السكانية في القيروان ما بين زراعة وتجارة وصناعة وغيرها نذكر أهمها:

الزراعة:

كثرت وتنوعت المحصولات في بلاد القيروان وجلبت إليها من مناطق قريبة منها فقد اشتهرت بالزيتون وكانت تتبادل مع الروم تعطيتهم الزيت وتأخذ منهم الورق⁽²⁶⁾، وكانت قفصة⁽²⁷⁾ تقوم بإرسال القوافل المحملة بالفستق والتمر إلى القيروان، أما قابس⁽²⁸⁾ فيها أنواع من الثمار والموز كانت تنقلها إلى القيروان وفيها أيضا شجر التوت وقصب السكر⁽²⁹⁾، وتم نقل القطن والسفرجل إليها من مناطق قريبة منها⁽³⁰⁾، وفي فحس القيروان كان يزرع الفول الذي يدر مالا كثيرا⁽³¹⁾، وارتبط بالزراعة أيضا توفير المياه لسقاية المزروعات فقاموا ببناء الماجل منها ما بني في عهد هشام بن عبد الملك⁽³²⁾، وكان أعظمها وأفخمها الماجل الذي بناه أحمد بن الأغلب⁽³³⁾ في باب تونس من القيروان⁽³⁴⁾، وتوجد مواجل أخرى خارج مدينة القيروان بلغ عددها خمسة عشر ماجلا بناها هشام بن عبد الملك، وعندما ينفذ الماء من مواجل القيروان كان يجلب إليها من مدينة القصر⁽³⁵⁾. وتوجد عندهم الكثير من الحيوانات فقد كانت لديهم الشاه والبقر والخيول⁽³⁶⁾، ومما يدل ذلك ما ذكر بأنهم قاموا بذبح تسعمائة وخمسين رأسا من البقر في يوم عاشوراء، وكانوا يحتطبون من أشجار الزيتون ولم يؤثر ذلك أو يؤدي إلى قلة هذه الأشجار⁽³⁷⁾.

تنوعت المزروعات في القيروان وضواحيها ونتيجة لقلّة المياه قاموا بحفر الآبار وإنشاء الماجل حتى يستطيعون توفير الماء للزراعة، وتوفرت فيها أماكن للاحتطاب لكثرة أشجار الزيتون وتوفرت كذلك المراعي للحيوانات فقد

ذكرنا أنها قامت بالقرب من منطقة سبخية صالحة للحيوانات وبذلك شملت جوانب من الصفات الواجب توافرها في المدينة.

الصناعة:

اشتهرت بصناعة السفن الحربية والتجارية وكان يوجد بها دار لصناعة المراكب⁽³⁸⁾، ومن أهم صناعاتها المنسوجات الصوفية وأهمها السجاد العربي المسمى الزربية ويمتاز بالزخارف الهندسية، والمنسوجات القطنية والكتانية والمنسوجات الحريرية، ولقد اشتهرت أيضا سوسة⁽³⁹⁾ بصنع المنسوجات الحريرية وبها كانت تقصر الثياب القيروانية الرفيعة، وكان للأمرء مصنع خاص للأقمشة يسمى دار الطراز تصنع فيه الأقمشة الملوكية، ومن صناعاتها مدبوغات الجلد القيروانية، والصناعات الخشبية المتعلقة بالنوافذ والأبواب والشرفات، وصناعة الزجاج والبلور، وصناعة المعادن سواء كانت أواني أو مجوهرات⁽⁴⁰⁾، وقد تم تخصيص مكان لكل صناعة على يد ولاتها وكان ذلك في وقت مبكر على يد يزيد بن حاتم⁽⁴¹⁾ الذي قدم إلى القيروان أميرا عليها عام 155هـ⁽⁴²⁾.

نلاحظ تعدد أصناف الصناعات في القيروان نتيجة لتعدد مواد الخام فيها، فلقد ذكر لنا الرحالة الجغرافيون توفر بعض المواد الخام بها وبالمناطق القريبة منها كالقطن والكتان مما ساعد على قيام صناعة المنسوجات القطنية والكتانية، وتوفر الحيوانات فيها ساعد على قيام صناعة المدبوغات الجلدية، كذلك توفر الأشجار ساهم في قيام الصناعات الخشبية وهكذا في بقية الصناعات.

التجارة:

نتيجة لوجود الزراعة والصناعة ازدهرت التجارة في القيروان، وكانت تحمل إليها المنتوجات الزراعية والصناعية وتقوم بعد ذلك ببيعها في الأسواق وكانت مقرا للتجارة الداخلية والخارجية كما ذكر ابن حوقل: «وكانت القيروان أعظم مدينة بالمغرب وأكثرها تجرا وأموالا وأحسنها منازل وأسواقا وكان فيها ديوان جميع المغرب وإليها تجبى أموالها وبها دار سلطانها⁽⁴³⁾»، وقد كان يصل إليها منتجات كثيرة من الضواحي التي حولها مثل الفواكه والبقول، ووصفت كثيرا من المسافات والطرق التي تحمل المنتوجات إلى القيروان⁽⁴⁴⁾، وهذا يدل على اتساع تجارتها، ومما يدل على تجارتها الخارجية أنها كانت لها علاقات تجارية مع بلاد الأندلس⁽⁴⁵⁾، وأنها قامت بتجارة الزيت مع الروم وصدرته إلى مصر وصقلية⁽⁴⁶⁾، وقد ذكر البكري أنه كان يدخل أحد أبواب القيروان من كل يوم ستة وعشرون ألف درهم⁽⁴⁷⁾. وقول البكري يدل على ازدهار التجارة في هذه المنطقة بشكل كبير،

فإذا كان هذا الباب تجارته بهذه القيمة فسيكون مجموع الأموال كبيرا إذا تم جمعه مع بقية ما يرد في الأنحاء الأخرى من السوق.

يبرز لدينا رواج تجارة القيروان نتيجة لتوفر المنتجات الزراعية أو الصناعية مما عكس عليها مستوى اقتصادي جيد فلم تقتصر على التجارة الداخلية إنما شملت أيضا التجارة الخارجية، وقد ساعد موقع القيروان المتوسط ومعرفة أهلها ببناء السفن على رواج التجارة الخارجية فيها.

الحياة الاجتماعية:

يتكون سكان مدينة القيروان من مجموعات مختلفة من قريش⁽⁴⁸⁾ ومن سائر بطون العرب من مضر⁽⁴⁹⁾ وربيعة⁽⁵⁰⁾ وقحطان⁽⁵¹⁾ وبها أصناف من العجم من أهل خراسان وعجم من البربر، وبها عدة مظاهر منها:

السلوك الاجتماعي العام:

كان العدل ومحاربة الظلم يسود في القيروان وكان قاضي القيروان يقوم بتعيين المحتسب، فيقوم بمحاربة المنكرات وحمل الناس على احترام المصلحة العامة كمنع المضايقات في الطرقات والرفق بالحيوان، وحمل أصحاب البيوت المتداعية على هدمها، ومقاومة الغش والخداع في البيع والشراء⁽⁵²⁾.

الملابس:

لباس الرجل كان يتألف من قميص وسروال وجبة من الصوف، ويضع على رأسه عمامة ويلبس في قدميه النعال في الشتاء والخف في الصيف ويلبس الأغنياء الفرو والقلنسوة عوضا عن العمامة وتكون صوفا أو قطنًا، أما المرأة فكانت تلبس رداء قطن أو حرير حسب رتبته وتلبس فوقه غلالة تشدها بمئزر، وتلبس الحلي المختلفة من الأساور والخلاخيل وغيرها، وتلبس الخف في قدميها.

الطعام:

أما في ما يتعلق بالطعام عندما استقر العرب في القيروان كانوا يأكلون ما اعتادوا عليه مثل: الثريد والعصيد، ولكن لما اختلطوا مع البربر أكلوا الكسكي وتنوعت الأطعمة بعد ذلك فتناولوا الكوكبية وهي نوع من المرق يدخل فيه السلق والحمص واللحم، والنسابورية والفسقية ويصنعان باللحم، والكنافة يتبل اللحم فيه بطريقة خاصة ويطبخ على البخار، وكذلك الشرائح وهو نوع من اللحم يؤكل بالخبز الرقاق⁽⁵³⁾ فعلى ما يبدو أن القيروانيين كانوا يتناولون الكثير من اللحم فقد تم ذبح أكثر من تسعمائة رأس من البقر في أحد أيام عاشوراء⁽⁵⁴⁾ هذا عدا الحيوانات الأخرى. وعرفوا أنواعا من الحلويات كانت تباع بالأسواق مثل: الإسفنج⁽⁵⁵⁾، وكان يباع في الأسواق الزلابية والكعك

وهو نوع من الحلوى يصنع من السمن والسكر والزعفران وكان السمسمر يربب بالياسمين وبالورد والبنفسج⁽⁵⁶⁾.

مظاهر التسلية:

مارس أهل القيروان ألعاب الفروسية كلعبة الصولجان أو لعبة المبارزة بين رجلين على الخيول، والكرة على الخيول، وكذلك سباق الخيل ولعب الشطرنج وصيد الغرائق، والتنزه بالزلج في الماغل الكبير في القيروان وغيرها⁽⁵⁷⁾.

الصحة والنظافة:

اعتنت القيروان بالشؤون الصحية فيوجد بها الأطباء والمستشفيات وفيها قسم خاص للمجذومين، وقسم لأمراض العيون وغيرها، وتوجد بها الحمامات العامة والتي يتوفر فيها الصابون منذ العهد الفاطمي، واتسمت شوارعها بالاتساع والجمال وتنظيم أماكن الأسواق والصناعات مما أدى إلى نظافة المدينة⁽⁵⁸⁾. وجود المحتسب في المدينة أمر جيد، فهو يعمل على تنظيم المصالح العامة فيها وتنظيم أمور الناس في كثير من أمور حياتهم، وكذلك نلاحظ أنه تختلف العادات والتقاليد باختلاف البيئة ففي القيروان كانت ملابس أهلها مناسبة لطبيعة الجو في مدينتهم، وطعامهم كان من المزروعات والمنتجات المتوفرة في منطقتهم واهتموا بالنظافة ومما يدل على ذلك ترتيب الصناعات والتجارات وكثرة الحمامات التي تم إنشاؤها.

العلم والعلماء:

العلم له دور كبير في مدينة القيروان منذ نشأتها وامتد لفترة طويلة، لكن لا نستطيع الحديث عنه بالتفصيل وسوف نشير إلى بعض منه، فعندما بنيت القيروان دخل فيها بعض من الصحابة فكانوا أساس الحركة العلمية فيها وقد قاموا بالرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم مثل: أبو سعيد المقداد بن عمر البهراني⁽⁵⁹⁾، وأبو اليسر كعب بن عمر الأنصاري⁽⁶⁰⁾، وغيرهم وجاء بعدهم التابعون مثل: أبو ذر الغفاري⁽⁶¹⁾، وعمر بن عوف المزني⁽⁶²⁾، وكانوا يقومون بتعليم الأمور الدينية مثل القرآن الكريم والحديث والتفسير⁽⁶³⁾، ولم تقتصر العلوم في القيروان على العلوم الدينية إنما شملت جوانب أخرى اجتماعية وهندسية وفلكية وطبية وغيرها، وانتشر فيها المذهب الحنفي والمالكي لكن الغالب كان على المذهب المالكي⁽⁶⁴⁾.

برز في القيروان علماء كتبوا في عدة مجالات في العلوم العربية ومنها الأدب واللغة فقد حظيت بعدد من الشعراء والبلغاء ورواة الأدب منهم: ربيعة بن ثابت الأسدي⁽⁶⁵⁾، والمسهر التميمي⁽⁶⁶⁾ وفي الفقه نبغ فقهاء في مختلف المذاهب مثل: ابن سحنون⁽⁶⁷⁾ وسعيد بن محمد الغساني⁽⁶⁸⁾، وكتبوا في العلوم الطبية

مثل: اسحق بن عمران⁽⁶⁹⁾، وكتبوا في علوم الفلك والرياضة منهم أبو سهل الملقب بالشفلجي⁽⁷⁰⁾ وغيرها من العلوم، كذلك كانت لها علاقات علمية مع الدول الأخرى مثل الأندلس وصقلية⁽⁷¹⁾.

كانت القيروان مركزاً علمياً يعج بالكثير من العلماء في مجالات العلوم المختلفة، ولم يقتصر دورها في داخل المدينة فقط إنما امتدت علاقاتها لتشمل كثيراً من الدول الأخرى، وقد وذكر ذلك الإدريسي عندما وصف القيروان بقوله: «مدينة القيروان أم أمصار وقاعدة أقطار وكانت أعظم مدن الغرب قطراً وأكثرها بشراً وأيسرها أموالاً وأوسعها أحوالاً وأتقنها بناءً وأنفسها همماً وأربحها تجارة وأكثرها جباية وأنفقها سلعة وأنماها ربحاً... والغالب على فضلائهم التمسك بالخير والوفاء بالعهد والتخليع عن الشبهات واجتناب المحارم والتفنن في محاسن العلوم⁽⁷²⁾». ولقد كان تعبير الإدريسي شاملاً لأشياء كثيرة لكن عبر عنها بطريقة موجزة، وهو يشير إلى أن مدينة القيروان كان موقعها جيداً، وأدى ذلك إلى اتساعها وكثرة سكانها، وازدياد الأموال فيها نتيجة لتوفر المنتوجات الزراعية والصناعية من خلال بيعها في الأسواق تصديرها للدول الأخرى، وازدهار الثقافة بها فيوجد فيها كثير من العلماء الذين برعوا في مختلف العلوم وقاموا بنشرها في داخل المدينة وخارجها.

خلاصة القول: صحيح أن الهدف من إنشاء مدينة القيروان هدف عسكري لكن نشأت وتطورت شأنها شأن أي مدينة حتى أصبحت مركزاً علمياً وحضارياً يؤثر على غيرها من المدن الأخرى.

الخاتمة:

من خلال البحث في موضوع مدينة القيروان في نواحي متعددة مثل: السمات الجغرافية والمظاهر العمرانية والنشاط السكاني وكذلك الناحية الاجتماعية والعلمية والثقافية نجد أن هذه المدينة حافظت على الكثير من معالمها عبر العصور، كما أنها ارتبطت بالفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، وأصبحت قبلة للعلماء ورجال الدين، كما أنها شهدت تطوراً ملحوظاً في كافة الصعد.

النتائج:

- خلصت الدراسة لعدد من النتائج والتي من أهمها:
- تحدث الجغرافيون عن موقع القيروان ولم يكن هناك اختلاف بينهم في هذا الجانب وأثنى غالبهم على موقعها إلا المقدسي فبالرغم من ثنائه انتقد قلة مائها.
- لم يرد وصف مناخها محدد في المصادر الجغرافية إلا أنه تم استنتاج

- مناخها بأنه ليس حارا من خلال مقولات الرحالة والجغرافيين.
- توفرت في القيروان المباني الأساسية التي تسهل عليها معيشتها وإدارة حياتها اليومية.
- لم تكن القيروان محصنة لكن عندما داهمها الخطر قامت ببناء سور حول المدينة.
- ازدهرت التجارة في القيروان نتيجة لتوفر المنتجات الزراعية والصناعية وبيعها في الأسواق مما أدى إلى رفع المستوى الاقتصادي فيها.
- تنوع أصناف الطعام في القيروان ناتج لتنوع السكان الذين يقيمون فيها.
- أصبحت القيروان منذ فتحها مصدرا يشع بالعلم والعلماء على العالم الإسلامي لعدة قرون.
- توافرت في القيروان أغلب الصفات المطلوبة في المدينة الإسلامية من طيب الهواء وتوفر الاحتطاب وإمكانية الميرة المستمدة والسور أما عدم توفر المياه استطاعوا التغلب على ذلك عن طريق حفر الآبار وإنشاء المواجهل.

التوصيات:

- من التوصيات التي خرجت بها الدراسة :
- دراسة المدن الإسلامية بقدر من التفصيل لتوضيح دورها الثقافي والاجتماعي.
- حث الباحثين الشباب على دراسة المدن الإسلامية لربط ماضيهم بحاضرهم ومستقبلهم .

الملاحق



خريطة توضح موقع القيروان من اطلس دول العالم الإسلامي للمؤلف شوقي أبو خليل، ص 84.

المصادر والمراجع:

- (1) ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم (ت866هـ)
- (2) عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة بيروت، د.ت ، د.ط .
- (3) ابن الأثير: أبو الحسن علي (036هـ)
- (4) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد عوض، دار الكتب العلمية لبنان، 1994م، ط1.
- (5) الاضطخري أبو اسحق إبراهيم (ت643هـ)
- (6) المسالك والممالك ، دار صادر بيروت ، 2004 م ، د.ط .
- (7) الإدريسي محمد بن محمد (ت065هـ)
- (8) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عام الكتب بيروت ، 1988م ، ط1 .
- (9) البغدادي عبد المؤمن بن عبد الحق (ت937هـ)
- (10) مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل بيروت، 1991م، ط1.
- (11) البكري أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت784هـ)
- * المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، 1992م، د.ط.
- * معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب بيروت، 1983م، د.ت.
- الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت (ت626هـ)
- * معجم البلدان، دار صادر بيروت، 1995م، ط2.
- * معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1993م، د.ط.
- (12) ابن حوقل: محمد البغدادي (ت367هـ)
- (13) صورة الأرض، دار صادر بيروت، 1938م، د.ط.
- (14) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت808هـ)
- (15) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة ، دار الفكر بيروت ، 1988م ، ط2.
- (16) الدباغ: أبوزيد عبدالرحمن بن محمد (ت696هـ)
- (17) معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد الأحمد، المكتبة العتيقة تونس ، د.ت ، د.ط.
- (18) الذهبي: شمس الدين أبو عبدالله ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، 1985، ط3.
- (19) ابن عبد الحكم ، عبدالرحمن بن عبدالله (ت257هـ)
- (20) فتوح مصر والمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1995م ، د.ت ، د.ط.

- (21) ابن عذاري المراكشي: أبو عبدالله محمد (ت 257هـ)
- (22) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق: ج.س. كولان ، دار الثقافة بيروت ، 1983م ، ط3.
- (23) العزيزي: الحسن بن أحمد المهلب (ت 380هـ)
- (24) المسالك والممالك ، د.ت ، د.ط.
- (25) القزويني: زكريا بن محمد (682هـ)
- (26) آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، د.ط.
- (27) القلقشندي: أبو العباس أحمد (821هـ)
- (28) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبنانيين بيروت ، 1980م ، ط2.
- (29) كاتب مراكشي (ت ق 6هـ)
- (30) الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية بغداد ، 1986م ، د.ط.
- (31) ابن منظور: محمد بن مكرم (ت 711هـ)
- (32) لسان العرب ، دار صادر بيروت ، 1994م ، ط3.
- (33) ابن يونس: عبدالرحمن بن أحمد (ت 347هـ)
- (34) دار الكتب العلمية بيروت، 2000م، ط1.
- (35) المروزي: أبو معين الدين ناصر خسرو (ت 481هـ)
- (36) سفرنامه، تحقيق: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد بيروت، 1983م، ط3.
- (37) المقدسي: أبو عبدالله محمد (تلايوجد)
- (38) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي القاهرة، 1991م، ط3.
- (39) - المنجم: إسحق بن الحسين (ت ق 4هـ)
- (40) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب بيروت، 1987م، د.ط.
- (41) اليعقوبي: أحمد بن اسحق (ت 292هـ)
- (42) البلدان، دار الكتب العلمية بيروت، 2001م، ط1.

المراجع:

زيتون: محمد محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار القاهرة، 1988م، ط1.

المصادر والمراجع:

- (1) البغدادي: عبد المؤمن بن عبد الحق ، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل بيروت ، 1991م ، ط 1 ، ج 3 ، ص 9311 .
- (2) عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري ، ولد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولاه عمرو بن العاص أفريقيا ، توفي عام 36 هـ ، ابن الأثير: أبو الحسن علي، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق: علي محمد عوض ، دار الكتب العلمية لبنان ، 4991م ، ط 1 ، ج 4 ، ص 75 .
- (3) الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت ، معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، 5991م ، ط 2 ، ج 4 ، ص 024 ؛ القزويني: زكريا بن محمد ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، د.ت ، ص 242 .
- (4) المسالك والممالك ، دار صادر بيروت ، 4002م ، د.ط ، ص 64 .
- (5) السبخة: الأرض المالحة. ابن منظور: محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، 4991م ، ط 3 ، ج 3 ، ص 42 .
- (6) البكري: أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز ، المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، 2991م ، ج 2 ، ص 567. الحموي، معجم البلدان ، ج 4 ، ص 022-122 .
- (7) البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عالم الكتب بيروت ، 3891م ، د.ت ، ج 2 ، ص 5011 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص 124؛ المنجم: إسحق بن الحسين ، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، عالم الكتب بيروت ، 7891م ، ط 1 ، ص 89 .
- (8) المواجهل: المواجهل هو الماء الكثير المجتمع وجمعه مواجل ، ابن منظور، لسان العرب ، ج 11 ، ص 616 .
- (9) المقدسي: أبو عبدالله محمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي القاهرة ، 1991م ، ط 3 ، ص 522 ؛ العيزي: الحسن بن أحمد المهلب ، المسالك والممالك ، د.ت ، د.ت ؛ اليعقوبي: أحمد بن اسحق ، البلدان ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1002م ، ط 1 ، ج 1 ، ص 681 .
- (10) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص 522 .
- (11) زياد بن خلفون: طيب أندلسي كان مولى لبني الأغلب ، توفي بالقيروان، ابن عذاري المراكشي: أبو عبدالله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق: ج.س. كولان ، دار الثقافة بيروت ، 3891م ، ط 3 ، ج 1 ، ص 381 .
- (12) رقادة: تقع بأفريقيا ، بينها وبين القيروان أربعة أيام ، هواها طيب وكثيرة البساتين ، فيها قصور عجيبية وأسواق وحمامات ، الحموي ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 55 .

- (13) المسالك والممالك ، ج2، ص756 .
- (14) سفرنامه ، تحقيق: يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد بيروت ، 3891م، ط3 ، ص58 .
- (15) سجلنامه: مدينة في جنوب المغرب ، بينها وبين فاس عشرة أيام ، يمر بها نهر كبير وفيها بساتين كثيرة وأكثر أقواتها من التمر، الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص291 .
- (16) صورة الأرض ، دار صادر بيروت ، 8391م ، د. ط ، ج1، ص99 .
- (17) البكري ، المسالك والممالك ، ج2ص376.
- (18) الحموي، معجم البلدان ، ج4، ص124 .
- (19) البكري، المسالك والممالك ، ج2 ، ص876 .
- (20) زيتون: محمد محمد ، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنار القاهرة ، 8891م ، ص98، 59، 69 .
- (21) زيادة الله بن إبراهيم بن ربيعة، أحد حكام الاغالبة، توفي عام 072، ابن يونس: عبدالرحمن بن أحمد، دار الكتب العلمية بيروت، 0002م، ط1، ج2، ص78.
- (22) المسالك والممالك ، ج2، ص676 .
- (23) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص776.
- (24) أمناء: مفرد من ، وهو مكيال يكال به السمن وغيره من الأشياء ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج51 ، ص792 .
- (25) المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص522-622.
- (26) ابن عبدالحكم ، عبدالرحمن بن عبدالله ، فتوح مصر والمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، 5991م ، د.ت ، ص212 .
- (27) قفصة: بلدة صغيرة في طرف أفريقيا من ناحية المغرب ، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام ، يوجد بها عدة بساتين فيه النخل والزيتون والعنب والتفاح ، الحموي ، معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج4، ص283 .
- (28) قابس: تقع على ساحل البحر وبها نخل وبساتين ، وهي مسورة بالصخر وفيها جامع وحمامات والكثير من أصناف الفواكه ، الحموي ، معجم البلدان ، ج4، ص982 .
- (29) البكري، المسالك والممالك ، ج2، ص666، 707 ،
- (30) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص47، 58.
- (31) زيتون: محمد ، القيروان ودورها في الحضارة ، ط1، ص651 .

- (32) هشام بن عبدالمك بن مروان القرشي الأموي ، تولى الخلافة عام 501هـ ، وأمه فاطمة بنت هشام بن إسماعيل ، توفي وعمره أربعة وخمسون سنة ، الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ، 5891 ، ط3 ، ج5 ، ص153 .
- (33) أحمد بن الأغلب: أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب تولى أفريقيا عام 241هـ وهو ابن عشرين عاما ، كان حسن السيرة ودينا ومجتنبا للظلم ، وكان يعطي الضعفاء والمساكين ، وعمل على حفر المواجهل وبنيان المساجد والقناطر ، توفي عام 942هـ وعمره ثمان وعشرين عاما . ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج1 ، ص211 ، 311 .
- (34) كاتب مراكشي ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، 6891م ، د.ط ، ص511 .
- (35) البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص776 ، 86 : القصر: مدينة أسسها إبراهيم بن الأغلب عام 481هـ ، وهي على بعد ثلاثة أميال من القيروان ، بها جامع وحمامات وفنادق وأسواق وبها رحبة كبيرة واسعة تعرف بالميدان وبها مواجهل كبيرة للماء . البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص86 .
- (36) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق: خليل شحادة ، دار الفكر بيروت ، 8891م ، ط2 ، ج6 ، ص611 .
- (37) البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص876 .
- (38) اليعقوبي ، البلدان ، ص781 .
- (39) سوسة: تقع بالمغرب ، بينها وبين القيروان ثلاثة آلاف فرسخ ، اشتهر أهلها بنسج الثياب ، وفيها سور مبني من الصخر ، الحموي ، معجم البلدان ، 3 ، ص282-382 .
- (40) البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص196 ، زيتون: محمد ، القيروان ودورها في الحضارة ص851-061 .
- (41) يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي ، كان بطلا شجاعا ، تولى مصر عام 441هـ ، ثم تولى المغرب بعد ذلك توفي عام 071هـ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج8 ، ص332 ، 532 .
- (42) ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، ج1 ، ص78 .
- (43) صورة الأرض ، ج1 ، ص69 .
- (44) البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص666 ، 186 ، 686 .
- (45) ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، ج1 ، ص961 .

- (46) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص966 .
- (47) المسالك والممالك، ج2، ص776 .
- (48) قريش: قبيلة من كنانة غلب عليهم اسم أبيهم فقيّل لهم قريش على ما ذهب إليه جمهور النسابين، وهو الأصح من الوجهين عند أصحابنا الشافعية فيما ذكروه في الكلام على كفاءة الزوج، القلقشندي: أبو العباس أحمد، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبنانيين بيروت، 0891م، ط2، ج1، ص793.
- (49) مضر: بنو مضر قبيلة من العدنانية، وهم بنو مضر بن معد بن عدنان، وقد كان له من الولد أياس بالياء المثناة قال أبو عبيد: وهم عيلان بن قيس عيلان، القلقشندي، نهاية الأرب، ج1، ص224 .
- (50) ربعة: بطن من شنؤة بن عامر من صعصعة من العدنانية، وهم بنو رباب بن حجر بن عامر بن صعصعة،
- (51) قحطان: ينسبون إلى بنو قحطان عابر بن شالخ، وإنه أصل عرب اليمن، واليه ينسب القحطانية، القلقشندي، نهاية الأرب، ج1، ص693.
- (52) زيتون، محمد، القيروان ودورها في الحضارة، ص271.
- (53) زيتون، محمد، القيروان ودورها في الحضارة، ص471-671 .
- (54) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص876 .
- (55) الإدريسي: محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عام الكتب بيروت، 8891م، ط1، ج1، ص132.
- (56) زيتون، محمد، القيروان ودورها في الحضارة، ص671 .
- (57) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص411: زيتون، محمد، القيروان ودورها في الحضارة ص971، 081.
- (58) زيتون، محمد، القيروان ودورها في الحضارة، ص081، 181.
- (59) أبو سعيد المقداد بن عمرو بن ثعلبة المعروف بالمقداد بن الأسود، من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة، ثم عاد إلى مكة وشهد غزوة بدر، ابن الأثير، أسد الغابة، ج5، ص242 .
- (60) أبو اليسر: كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري الخزرجي، شهد العقبه، وشهد بدر وهو ابن عشرين سنة، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد بدرا مات عام 55هـ، ابن الأثير، أسد الغابة، ج4، ص754 .
- (61) أبو ذ الغفاري: المشهور بجندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل، أمه رملة بنت الوقيعة، من كبار الصحابة، خامس من أسلم من الناس، ابن الأثير، أسد الغابة، ج6، ص69 .
- (62) عمرو بن عوف بن زيد بن مليحة، قديم الإسلام، له منزل بالمدينة و قيل أن أول مشاهدته الخندق، وهو أحد البكائين في غزوة تبوك، ابن الأثير، أسد الغابة، ج4، ص742 .

- (63) الدباغ: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق: محمد الأحمدى ، المكتبة العتيقة تونس ، د.ت ، د.ط ، ص17، 67، 77 ، 58 ، 29.
- (64) زيتون، محمد، القيروان ودورها في الحضارة ، 242 .
- (65) ربيعه بن ثابت بن لجأ بن العيزار الأسدي ، شاعراستقدمه أمير المؤمنين المهدي فمدحه بعدة قصائد مشهورة ، الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ، معجم الأدباء ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 3991م ، ج3، ص3031.
- (66) المسهر التميمي وفد على يزيد بن حاتم وأقام مدة طويلة بالقيروان، زيتون ، محمد ، القيروان ودورها في الحضارة ، ص422.
- (67) ابن سحنون: محمد بن عبدالسلام التنوخي ، فقيه مغربي من القيروان على المذهب المالكي ، تفقه على يد أبيه ، الذهبي ، سيرأعلام النبلاء ، ج31، ص06 .
- (68) سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن حداد القيرواني ، كان علما باللغة وكان الجدل غالبا عليه توفي عام أربعمائة ، الحموي، معجم الادباء، ج3، ص3731؛ الدباغ ، معالم الأيمان ، ج2، ص24، 952 .
- (69) اسحق بن عمران: طبيب مشهور ، بغدادى الأصل ، مسلم ، دخل أفريقيا في دولة زيادة الله بن الاغلب ، ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق: نزار رضا ، مكتبة الحياة بيروت ، د.ت ، د.ط ، ص874 .
- (70) أبوسهل أدنيم بن تميم الملقب بالشفلجي ، ولد بالقيروان وتلقى العلم على يد الطبيب اسحق بن سليمان ودرس الحساب والفلسفة والنجوم ، زيتون ، محمد ، القيروان ودورها في الحضارة ، ص402
- (71) زيتون ، محمد ، القيروان ودورها في الحضارة ، ص134، 144.
- (72) نزهة المشتاق ، ج1 ، ص482 .